

التلفزيون والأطفال

من تجربة التلفزيون العربي السوري

د. أحمد حلواني

جامعة دمشق - جامعة فيلادلفيا

مع بدايات التلفزيون وانتشاره قام صراع قوي بين أنصار نمط الحياة العائلية التقليدية وبين مروجي الصندوق العجيب المسمى بالتلفزيون. فبعد أن كان طقس المساء المتزلي يتناهى إلى جلسة عائلية تروى فيها الحكايا والأخبار بطرق حميمة تتقوى فيها همزة الوصل بين الأسرة وأجيالها المختلفة جاء التلفزيون ليحدّ من هذه الجلسات الحميمة ويفرقها.

لقد كان فن القص الشفهي الذي مثله الحكواتي جزءاً من أماسي الساهرين خارج البيت والذي مثلته الجدّات في داخل البيوت بحيث كانت أجفان الصغار لا تنطبق إلا على قصصهن الجذابة. وفي هذا الصراع الذي لم يمتد طويلاً بحيث حقق التلفزيون انتصاراً سريعاً أثبت حضوره وفاعليته السلبية والإيجابية بآنٍ معاً. فقد تولدت أفكار وطرائق مختلفة للجمع بين الطرق التقليدية وبين فنون التلفزيون وإمكاناته.

ومن خلال هذه المسيرة نستطيع أن نستعرض الكثير من هذه الطرائق والأفكار التي مرت بها تجارب محطات التلفزيون العربية في مختلف الأقطار العربية. لقد شكّل الاهتمام ببرامج الأطفال إحدى الأهداف الأساسية للتلفزيون العربي منذ إنشائه.

ولعل في استعراض مراحل الاهتمام وأهدافه وطرائقه في التلفزيون العربي السوري الذي نشأ مع تلفزيون القاهرة خلال عهد الجمهورية العربية المتحدة

بإقليميهما السوري والمصري والذي بدأ إرساله في الثالث والعشرين من تموز (يوليو) عام 1960 ما يعطينا نموذجاً لهذا الاهتمام، وصورة معبرة عن واقع محطات البث والإنتاج التلفزيوني في جميع الأقطار العربية الأخرى.

المعروف أنه لم يكن هناك برامج أو مناهج موجهة بشكل نظامي للأطفال في الدول العربية خارج إطار المدرسة كما أن مدارس الحضانة ورياض الأطفال لم تكن موجودة بشكلها الرسمي والأهلي لذلك كان الاهتمام بالأطفال منصّباً في إطار عملية التعليم بدءاً من مرحلتها الابتدائية أي من سن السادسة أو السابعة. ولقد جاء اهتمام التلفزيون ببرامج الأطفال ليشكل نقلة نوعية هامة في الاهتمام بالطفولة في مراحلها المختلفة وفي تقسيم مراحل الطفولة وتحديد طرق التوجه إليها. الأمر الذي فتح مجالاً واسعاً للاهتمام بهذه المرحلة ليس على صعيد التلفزيون فقط وإنما على صعيد البرامج والنشاطات التربوية الحكومية والأهلية أيضاً.

ونستطيع أن نحدد التقسيم الذي لجأ إليه التلفزيون في تحديد مراحل الطفولة من خلال استعراض ملخص للورقة التي قدمتها إلى لجنة ضمت عدداً من كبار التربويين والإعلاميين والأدباء كان من بينهم الشاعر الكبير سليمان العيسى الذي كرّس إنتاجه الشعري بعد نكسة حزيران 1967 للأطفال فقط من منطلق أن الأطفال هم الأمل الذي تلوّثه ألاعيب السياسة. وقد قدمت الورقة في إطار دائرة البرامج الثقافية في التلفزيون العربي السوري التي كنت مسؤولاً عنها في ذلك الوقت.

ومع ازدياد دور وسائل الإعلام (ولا سيما الإذاعة والتلفزيون) من جراء سمّة الانتشار وسهولة الاستقبال وجاذبيته بات من الأهمية بمكان لا بل من الضرورة التوجه إلى هذا القطاع العام ووضع خطط نوعية تتماشى والخطة الوطنية العامة للطفولة وتكملها لا بل تفتح المجال أمامها لمزيد الإغناء والفاعلية.

التلفزيون والأطفال

منذ أن بدأ يتضح ما يلعبه التلفزيون من تأثير بالغ في الأطفال، بدأ الاهتمام بإعداد برامج خاصة بهم حتى لا يترك جمهور الأطفال الواسع من مشاهدي التلفزيون تحت تأثير البرامج المعدة للكبار، فإذا ما صرفنا النظر عن مقدار قدرة الصغار على فهم البرامج العامة وعلى الاستفادة منها، فإنه من المؤكد تربويا أن مرحلتَي الطفولة والمراهقة تقضيان بأن تكون لهما برامج تلفزيونية خاصة مبنية على أسس سيكولوجية وتربوية وتوجيهية منسجمة مع هاتين المرحلتين من العمر اللتين هما أساس المرحلة المقبلة، مرحلة الشباب.

أولا : ما هي مرحلة الطفولة

قبل الدخول في تفاصيل الأسس التي يجب أن تقوم عليها برامج الأطفال لابد من تحديد علمي لمرحلة الطفولة، وبتعبير أكثر دقة لابد من تحديد المرحلة من العمر التي تتوجه إليها هذه البرامج، إذ إنه في ضوء هذا التحديد وحده يجب وضع هذه البرامج ودون هذا التحديد تفقد العملية التربوية المطلوبة من برامج الأطفال فاعليتها، أو أنها تحدث تأثيرا مغايرا للتأثير المطلوب. فما هي سنوات العمر التي تحدد مرحلة الطفولة؟

من المتفق عليه بصورة عامة أن برامج الأطفال في التلفزيون تشمل الذين هم ما بين الثالثة والخامسة عشرة. ويعتمد هذا التقسيم على أن الطفل ما قبل الثالثة لا يستطيع المواظبة على مشاهدة برنامج معين، وأن مرحلة الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وهي مرحلة المراهقة تختلف تماما عن مرحلة الطفولة فهي بالتالي لا تدخل في إطار هذا البرنامج. ومن هذا التحديد يتضح أن هذه المرحلة تتوجه نحو الأطفال جميعا لأنها تشمل جميع قطاعاتهم تقريبا أي باستثناء الرضع أو من هم في حكمهم.

وطبيعي أن هذا التحديد لا يمكن أن يعتبر مرحلة واحدة لا بل لا بد من تقسيم الطفولة على مرحلتين أو أكثر. فبينما يرى البعض أن الطفولة بالنسبة إلى برامج التلفزيون يمكن أن تقسم إلى أربع مراحل هي: (1)

- ما بين 3 و 6 سنوات

- ما بين 6 و 9 سنوات

- ما بين 9 و 12 سنة.

يرى البعض الآخر أنها يمكن أن تحدد على النحو التالي: (2)

- من 3 إلى 5 سنوات

- من 6 إلى 9 سنوات

- من 10 إلى 12 سنة

- من 13 إلى 15 سنة

وقد أوصت الحلقة الدراسية التي عقدت في بيروت عام 1972 حول برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون أن يراعي المربون والكتاب أطوار النمو المختلفة التي يمر بها الطفل لدى تقديم نتاج ثقافي للأطفال وذلك بالرجوع إلى الدراسات النفسية والتربوية المتوافرة. وقد استبعدت فترة الطفولة الأولى منذ الولادة وحتى سن الثالثة. ورؤي أن تمتد مرحلة الطفولة من نهاية سن الثالثة وحتى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. وقسمت هذه المرحلة إلى فترتين : فترة السادسة فما دونها وفترة ما بين السادسة والثانية عشرة. وليس ثمة ريب في أن هذا التقسيم يستند إلى أساس علمي. إذ من المتفق عليه أن مرحلة الطفولة المبكرة تمتد حتى السادسة. وتتضمن تعلم المشي والكلام وتناول الطعام والتعرف على الجنس (ذكر أو أنثى) وتكوين

(1) حسين حامد، برامج الأطفال في التلفزيون العربي، ص 67.

(2) محمد محمود رضوان، اللغة التي يخاطب بها الأطفال في الراديو، ص 77.

المفاهيم البسيطة عن الواقع الاجتماعي والمادي. كما أنه من المثق عليه أيضا أن مرحلة الطفولة المتوسطة تمتد من السادسة حتى الثانية عشرة. وهي المرحلة التي يقوم فيها الطفل بتعلم بعض المهارات الجسمية والمشاركة في المسؤولية والتقدم باتجاه الاستقلال الشخصي.

أما ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة فهي مرحلة المراهقة.⁽¹⁾ من هذا يتضح أن برامج الأطفال - على أساس التحديد العلمي الصرف - يجب أن توجه إلى مرحلتى الطفولة المبكرة والطفولة المتوسطة أي مرحلة رياض الأطفال والدراسة الابتدائية. أما الدراسة الإعدادية والثانوية فتدخل في نطاق مرحلة المراهقة. إن هذا التحديد مهم للغاية لأنه الأساس العلمي الذي يجب أن يستند إليه وضع برامج الأطفال التي تتسع أحيانا في بعض البرامج التلفزيونية عند بعض الدول لتشمل مرحلة المراهقة نفسها كما في الاتحاد السوفيتي.⁽²⁾ ومن الواضح أن هذه البرامج إذا أريد لها أن تشمل مرحلتى الطفولة والمراهقة لا بد من أن تكون واسعة من حيث التنوع ومن حيث كمية ساعات الإرسال اليومية والأسبوعية وتلقي على عاتق معديها أعباء لا يستهان بها. على أنه من الممكن القول بشكل عام أن تحديد مرحلة الطفولة كما جاء في توصية حلقة بيروت لبرامج الأطفال التي أشرنا إليها مقبول ومن الممكن اعتماده كأساس لإعداد هذه البرامج.

ثانيا : بعض الأسس العلمية لبرامج الأطفال

إن إعداد برامج الأطفال على أساس تحديد مرحلة الطفولة بين الثالثة والثانية عشرة أو الثالثة عشرة أي ما يقارب عشر سنوات فاصلة في تكوين شخصية الطفل

(1) علم النفس وثقافة الطفل، سمية أحمد فهمي. ص 49.

(2) فكتور كريشوف، برامج الأطفال في راديو وتلفزيون الاتحاد السوفيتي، ص 127.

يفرض استعراض بعض الأسس البيولوجية والسيكولوجية التي ترافق هذه المرحلة من نمو الطفل.

ولا مجال للتأكيد على أهمية إعداد برامج الأطفال على أساس من معرفة علمية تامة بهذه الأسس البيولوجية والسيكولوجية، مع الأخذ بعين الاعتبار عملية تطور نمو الطفل السريعة وضرورة مراعاة إعداد البرامج على أساس هذا التطور السريع، كي يمكن لهذه البرامج أن تكون ذات تأثير إيجابي وفعال على هذا النمو، إذ بمقدار ما تتطابق هذه البرامج مع النمو ومراحله يمكن أن تحقق الغاية التربوية المطلوبة. وكمدخل لتحديد هذه الأسس لا بد من التساؤل من هو الطفل؟ "إنه كائن يولد مزوداً ببعض الخصائص العضوية والفيزيولوجية، له احتياجاته البيولوجية والنفسية التي يعتبر إشباعها ضرورياً لبقائه ونموه. وهو يعيش في وسط اجتماعي لا غنى له عنه، وعليه أن يتعلم كيف يتوافق معه، طوراً عن طريق التطابق مع متطلباته، وطوراً آخر عن طريق تكييف شروطه لكي تناسبه وذلك لكي يسد حاجاته البيولوجية وحاجاته النفسية والاجتماعية التي تفرضها حياته في هذا المجتمع..."⁽¹⁾

فإذا كان هذا هو الطفل: فما معنى النمو؟

يشير النمو إلى التغيرات الكمية والكيفية التي تحدث عند الطفل وتنتهي به إلى النضج، سواء أكانت هذه التغيرات في الحجم أو الطول أو أبعاد الرأس، أم كانت تغيرات فيما يتصل بالوظائف الفيزيولوجية كإفرازات الغدد الصماء والقدرات العقلية كالذكاء والعمليات العقلية كالانتباه.

ويحدد العلماء الأسس العامة للنمو في مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة

كما يسمونها أيضاً أي ما بين السادسة والثانية عشرة في النقاط التالية :

(1) النظرة الجديد للطفل، مديرية التدريب وإعداد المعلمين، أحمد معمر، ص 40.

1. النمو الحسي

إن التقدم الذي حققته الحواس بصورة عامة وحاسة اللمس بصورة خاصة، ففي هذه المرحلة يعتمد الطفل على حواسه أكثر من الاعتماد على العمليات العقلية في كشف العالم والتكيف معه.

2. النمو العضلي والحركي

ففي هذه المرحلة تنمو عضلات الطفل نموا كبيرا حتى تبلغ في الثانية عشرة ضعف وزنها في السادسة. ويكون الأطفال في أوائل هذه المرحلة ضعيفي القدرة على أداء الأعمال التي تتطلب توافقا عضليا عصبيا دقيقا. لهذا يحذر من إجهاد الطفل بمطالبتة بقراءة نص مكتوب بحروف صغيرة.

3. النشاط الجسمي

يتصف الطفل في هذه المرحلة بالحيوية المندفعة ويساعد على هذه الحيوية بطء النمو الجسمي الذي يسمح بتوفير طاقة زائدة. لذلك فإن النشاط الذهني للأطفال يكون أكثر جدوى عندما يكون نشاطا لأيديهم وأجسامهم. إن الطفل في هذه المرحلة يفكر بيديه ولسانه أكثر مما يفكر داخليا بدماعه.

4. نمو الذكاء

يعرف الذكاء على أنه القدرة العقلية العامة التي تساعد الفرد على حل مشكلاته والتكيف مع الظروف المتغيرة في حياته. وينمو الذكاء نموا مطردا حتى سن الثانية عشرة ثم يعتريه بعض الاضطراب مع أوائل المراهقة ثم يواصل نموه حتى السادسة عشرة أو السابعة عشرة وفي حالات قليلة حتى العشرين. وهناك فروق فردية بين الأطفال في الذكاء يمكن قياسها وتؤثر هذه الفروق على استعداد الأطفال للتعليم وعلى تحصيلهم الدراسي.

5. نمو التفكير

التفكير عملية عقلية هادفة يعتمد إليها الفرد بقصد التوصل إلى حلول للمشكلات التي تعترضه. ويحاول بعض العلماء تقسيم نمو التفكير إلى أربع مراحل هي : مرحلة الذكاء الحسي - الحركي التي تمتد حتى نهاية السنة الثانية من العمر، ومرحلة ما قبل العمليات وتمتد من الثانية حتى السابعة، ومرحلة العمليات المادية وتمتد من السابعة إلى الثانية عشرة، ومرحلة العمليات المجردة وتمتد من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة ينضج خلالها تفكير المراهق ويصبح قادرا على استخدام الرموز دون حاجة إلى صور ذهنية لوجودها المادي.

6. النمو الانفعالي

ويقصد به أن الطفل يصبح أكثر تحكما في انفعالاته وأكثر تقبلا للتأخر في تحقيق رغباته أو حتى عدم تلبيتها وذلك بسبب نمو ذكائه وتفكيره وازدياد اعتماده على نفسه وكذلك إلى نمو علاقاته الاجتماعية واهتمامه بكسب احترام الكبار. ولا يعني هذا النمو الانفعالي عدم تعرض الطفل في هذه المرحلة للانفعالات الحادة في بعض مواقف تأكيد الذات والدفاع عنها.

وتدخل في نطاق النمو الانفعالي الميول العامة لدى الطفل في هذه المرحلة كالميل للعمل والحل والتركيب وللتجوال والكشف والجمع والافتناء والاطلاع والتصنيف والمشاركة الوجدانية. كما تدخل في هذا النمو الحاجات النفسية التي يعد إشباعها ضروريا للمحافظة على التوازن الفيزيولوجي. ومن هذه الحاجات النفسية الحاجة للأمن وللحب وللحرية وللتوجيه.

7. النمو الاجتماعي

يعرف الطفل في هذه المرحلة تقدما في اندماجه في المجتمع ويحرص على تأكيد ذاته في تعامله مع رفاقه وزملائه والكبار. وتتوطد علاقات الطفل الاجتماعية وتكتسب قوة تضاهي في تأثيرها قوة الأسرة. ويصادف الطفل في هذا النمو

الاجتماعي العديد من المصاعب وتعد المشاحنات والمشاجرات بين الأطفال أمرا طبيعيا في هذه المرحلة.

ثالثا : بعض الأسس التربوية لبرامج الأطفال

لقد أشرنا فيما سبق إلى بعض الأسس العلمية عن الطفولة ونموها، وهذه الأسس لا غنى عن اطلاع واسع ومعظم عليها من قبل معدي برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون. إذ بدون معرفة هذه الأسس العلمية يتعذر تقديم برامج مفيدة. فضلا عن أن هذه الأسس العلمية تفرض أن تكون بدورها الأساس الذي تبنى عليه سياسة تربوية. وهذه السياسة التربوية تشكل بدورها أساسا آخر من الأسس التي يجب أن يقوم عليها التخطيط لبرامج الأطفال. فما هي هذه الأسس التربوية؟

سنعتمد في تحديد هذه الأسس على المبادئ المقررة كأهداف للتربية في القطر العربي السوري وسنقسمها إلى مرحلتين : ما قبل المرحلة الابتدائية أي ما يمكن أن نسميه رياض الأطفال بين الثالثة والسادسة من العمر، والمرحلة الابتدائية.

1. مرحلة ما بين 2 - 6 سنوات

تعد هذه المرحلة مرحلة أساسية في بناء شخصية الطفل ورسم التخطيط الأولي لسماها ومقوماتها. ويمكن تحديد أهدافها في النقاط التالية :

- التربية الجسدية والصحية.

- التشجيع على التعبير الحر والموجه بجميع أشكاله اللغوية والحركية والفنية.
- توسيع معارف الأطفال وتوسيع عالمهم الفكري وتدريب حواسهم وذلك عن طريق تهيئة فرص المشاركة في النشاطات. وتلعب الوسائل السمعية والبصرية كالسينما والإذاعة والتلفزيون دورا هاما في هذا المجال.
- غرس التربية الخلقية وتصحيح ردود الفعل الخاطئة وإزالة الأوهام والمخاوف وتنظيم السلوك العفوي عن طريق الإيجاء والقدرة الجيدة.

- بذر القيم الأخلاقية الوطنية والتقدمية وتعزيز الولاء الصحيح للمجتمع العربي السوري الصغير والمجتمع العربي الكبير.
- مساعدة الأطفال على الاندماج في الجماعة عن طريق تكوين النماذج السلوكية الصحيحة للحياة اليومية.
- تعويد الأطفال على الاعتماد على النفس وخدمة الغير والقيام بالأعمال البسيطة.
- تهيئة مناخ ثقافي مناسب عن طريق الفنون.
- تتوجه التربية في هذه المرحلة إلى تحقيق الأهداف التالية :
- توفير شروط النمو الجسدي السليم بالتوعية نحو العناية بالصحة الفردية والصحة العامة والوقاية ومبادئ التغذية والعادات الصحية في المأكل والمشرب والنوم والعمل والراحة، والتربية البدنية.
- مساعدة الطفل على النمو الفعلي الصحيح وعلى فتح مداركه وقدراته وذلك بتدريب حواسه وتنميتها والوصول به إلى المهارات العقلية الأساسية في القراءة والكتابة والحساب وغيرها. وكذلك مساعدة الطفل على إدراك مفهوم الزمان والمكان وتعويده الدقة في التفكير والموضوعية في الفهم وفي إبداء الرأي وتهيئة أسباب التفكير العلمي المنظم وإبعاده عن الخرافات.
- تنمية حب الاستطلاع الفكري وتكوين عادات القراءة والمطالعة ومهارات التعلم الجدي.
- تنمية المهارات اليدوية والتقنية واستعمال الأدوات والآلات وتشجيع العمل والنشاط.
- تهيئة المناخ الملائم لنمو انفعالات الطفل والتعبير عنها بصورة متناسقة ومتوازنة وذلك بتجنيب الأطفال عوامل الخوف والإحباط وإحاطتهم بالعطف والاهتمام، وتوفير فرص التعبير عن الذات.

- تكوين الطفل اجتماعيا يجعله قادرا على المشاركة في حياة الجماعة
مشاركة بناءة - وخدمتها والولاء لها وأداء واجباته كمواطن على قدر مستواه.
- تكوين الضمير الأخلاقي عن طريق ترسيخ القيم الأساسية كالصدق
والأمانة والشجاعة والوفاء والنجدة و... الخ وذلك عن طريق القدوة والممارسة
اليومية لهذه القيم كي تصبح عفوية وتلقائية في سلوك الطفل.
- تعزيز الانتماء القومي العربي لدى الأطفال وتثبيت القيم الوطنية والقومية
والاشتراكية لديهم وربطها بالنضال العام للوطن العربي ضد أعدائه من الصهيونيين
والاستعماريين.

بعد ذلك يمكن أن نحدد التصور الذي تم تحديده في مسؤولية وسائل
الاتصال الجماهيري ولا سيما الإذاعة والتلفزيون في تربية الأطفال. في فترة
الستينات والسبعينات والتي جاءت وفق التصور التالي⁽¹⁾:
عندما تحدثنا عن تحديد مرحلة الطفولة وعن بعض الأسس العلمية لبرامج
الأطفال وكذلك عن بعض الأسس التربوية، كانت الغاية التأكيد على مدخل هام
لدور وسائل الاتصال الجماهيري في تربية الأطفال، ألا وهو أن تقدم البرامج التي
تستخدم هذه الوسائل على أسس علمية تربوية.
إذ أنه دون هذه الأسس لا يمكن التخطيط لدور هذه الوسائل، فضلا عن أن
جهل المخططون لبرنامج الأطفال أو تجاهلهم لهذه الأسس، يعكس آثارا سلبية مخربة
على دور وسائل الاتصال الجماهيري في التربية ونقصد بالدرجة الأولى بهذه
الوسائل، الإذاعة والتلفزيون.

(1) التلفزيون والأطفال، د. أحمد حلواني، إصدار وزارة الإعلام السورية ومنظمة اليونسيف، دمشق، 1989،
ص 105-112.

إذ بمقدار ما يكون التخطيط علميا يمكن تحقيق تربية تربوية وقومية كبيرة وتنشئة أجيال مرت بطفولة سليمة حررتها من رواسب التخلف الثقافي والاجتماعي.

من هذا المنطلق يمكن تحديد دور الإذاعة والتلفزيون ووسائل الاتصال الجماهيري الأخرى بالنسبة إلى الأطفال، بأنه دور تربوي، وأي فهم لهذا الدور على غير هذا الأساس، لا يفقد هذه الوسائل الفائدة المرجوة منها وحسب وإنما قد يؤدي إلى قيامها بدور سلبي مخرب على تكوين الناشئة. أي أن التأكيد على هذه النقطة مسألة خطيرة تماما. إنها النقطة الحاسمة. بل إن بعض مؤسسات الإذاعة والتلفزيون يربط برامج الأطفال بوزارة التربية على أساس أن هذه البرامج تربوية وتعليمية في آن واحد⁽¹⁾ فالتربية بالنسبة إلى الطفل لا تنفصل عن التعليم كما لا تنفصل في الوقت نفسه عن الترويح والتسلية. إنها تشكل كلا واحدا من التعسف تجزئته. وبمقدار ما تتكامل هذه الأهداف الثلاثة وتتوحد أي التربية والتعليم والتسلية تعطي مردودا أكثر فعالية وتأثيرا. فإذا كان الأمر على هذا النحو فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو : كيف يمكن أن نصنع برامج للأطفال تؤدي هذه المهمة التربوية والتعليمية والترفيهية الخطيرة؟

أعتقد أن من نافلة القول التحدث عن التأثير العميق والبعيد في نفوس الأطفال وعقولهم للإذاعة والتلفزيون. إنها النافذة التي يطل منها المجتمع كله على عالم الأطفال وما دامت هذه النافذة مفتوحة داخل بيوتنا على أطفالنا ومنها تدخل الريح التي قد تكون ريح صبا لطيفة وقد تكون رياح سموم قاتلة، فإنه من الواجب البدء بالتذكير ببعض السلبيات التي تأتي من هذه النافذة.

يقول المثل الشائع لدينا : "الباب الذي تأتيك من الريح سدّه واستريح" وهذا عمليا غير ممكن. فالعزلة أصبحت مستحيلة موضوعيا بسبب انتشار وسائل

(1) برامج الأطفال في التلفزيون الفرنسي، بيير ماتيو، ص 117.

الاتصال الجماهيري في كل مكان. إنها أعظم ظواهر عصرنا الراهن. لم تعد عزلة الأسرة ممكنة، كما لم تعد عزلة أي مجتمع عن العالم ممكنة بدورها. والذين يفكرون بإغلاق باب الإذاعة والتلفزيون في بيوتهم ليمنعوا الريح من دخولها يحاولون عملاً مستحيلًا، فضلاً عما في مثل هذا التفكير من سذاجة وبدائية.

وإذا ما أردنا أن نحدد بعض السلبيات التي يلمسها المستمع والمشاهد في مجتمعنا العربي بعامة من الإذاعة والتلفزيون فهي كثيرة نعدد منها ما يلي :

1. عدم بناء البرامج العامة للإذاعة والتلفزيون على أسس سياسية واجتماعية وثقافية وتربوية مدروسة. ونقص بذلك افتقار التخطيط العام للبرامج إلى أهداف واضحة ومحددة مبنية على أسس سياسية واجتماعية وثقافية مرتبطة ارتباطاً تاماً بالأهداف العامة للمجتمع وبخاصة الأهداف البعيدة. فإذا كان الهاف العام للجماهير العربية على سبيل المثال هو بناء مجتمع عربي اشتراكي موحد، فإنه يفترض أن تتكامل البرامج كلها وعلى امتداد أكثر من جيل باتجاه هذا الهدف وألا تتناقض معه بأي شكل من الأشكال سواء في الخطوط العامة أو في التفاصيل. وليس هذا بطبيعة الحال بالمسألة اليسيرة.

2. النقص في الثقافة الشاملة عند المخططين، سياسياً وعلمياً وتربوياً. فالمخططون هم الذين يستطيعون ترجمة الأهداف العامة للمجتمع إلى خطط واضحة ومحددة. ويمكن القول أن هذا النقص كامن في التخطيط الإعلامي كله بصورة عامة، إنه يتوجه نحو الأهداف السريعة والمباشرة والتكتيكية إذا صح التعبير، ويجهل أو يغفل الاستراتيجية العامة، إنه يتوجه أكثر ما يتوجه نحو الأهداف السياسية المباشرة واليومية الأمر الذي يفقد العمل الإعلامي فاعليته الجذرية في التوعية الشاملة البعيدة المدى.

3. عدم التنسيق بين فعاليات مختلف الأجهزة الإعلامية على صعيد التخطيط والتنفيذ على حد سواء. فالأجهزة الإعلامية، إذا كانت تختلف وتتنوع في وسائلها

وقدراتها فإن هذا يجب أن لا يعني إلا الاختلاف في الوسائل وحسب. أما الأهداف فيجب أن تظل موحدة ومحددة لجميع الأجهزة الإعلامية. أي لا بد من سياسة إعلامية واحدة مرتبطة بالأهداف العامة للمجتمع.

4. عدم توزيع البرامج توزيعاً علمياً مدروساً بحيث تتجاوب مع جميع الفئات الاجتماعية وتنفذ إليها وتحدث فيها التوعية المطلوبة.

5. عدم الربط الجدي والمحكم بين الترفيه وبين التوجيه. إذ كثيراً ما يكون الترفيه مبتذلاً مناقضاً للأهداف العامة للتوعية وللعمل الإعلامي. فما يقدمه الغناء والمسرح والسينما يجب أن يدرس في ضوء الأهداف العامة السياسية والثقافية والاجتماعية التربوية.

6. ضعف المستوى الفني للترفيه بعامة.

7. عدم اعتماد التوجيه على أسس علمية، وبخاصة الاعتماد على التوجيه المباشر الذي لا يحقق التأثير المطلوب.

لقد أردنا من استعراض هذه النقاط السلبية في مجمل برامج الإذاعة والتلفزيون قبل الدخول في الحديث عن برامج الأطفال، الإشارة إلى السلبيات العامة التي تشمل فيما تشمله برامج الأطفال ولا تختص بها. أما السلبيات الخاصة بهذه البرامج فيمكن أن نحددها فيما يلي :

1. عدم توافر تربويين مختصين في الدوائر المسؤولة عن برامج الأطفال.

2. نقص عدد العاملين في هذه البرامج وعدم تفرغهم لها.

3. ضعف الارتباط بين برنامج الأطفال وبين الأجهزة التربوية المختصة في إدارات الدولة والمنظمات الشعبية وغيرها.

4. عجز هذه البرامج عن تغطية قطاعات الطفولة في مختلف مراحلها تغطية

شاملة وافية.

5. عدم توافر المادة التربوية والتعليمية المخصصة للأطفال لنقص عدد الكتاب المخرجين والمنفذين لهذه البرامج، الأمر الذي يجبر على الاستعانة بمواد من بلدان أخرى فلا تتحقق الأهداف المنشودة.

فإذا كان هذا واقع العمل في الإذاعة والتلفزيون وخاصة في قطرنا العربي السوري، ما هي السبلات المباشرة التي يمكن أن نلاحظها في برامج الأطفال؟

1. قصر مدة الإرسال الإذاعي والتلفزيوني المخصص للأطفال؟ فمجموع الإرسال التلفزيوني يوميا يبلغ ساعة واحدة أما الإرسال الإذاعي فلا يبلغ ساعة واحدة أسبوعيا. وكثيرا ما يتوقف البرنامج اليومي بسبب برامج طارئة وقل أن تقدم برامج للأطفال في المناسبات العامة في مقابل زيادة ساعات الإرسال.

2. عدم وجود برامج تعليمية دائمة وشاملة لمختلف مراحل الطفولة بما في ذلك المراهقة وكذلك عدم وجود برامج إخبارية دائمة للأطفال.

3. التوجه في البرامج إلى جماهير الأطفال من أبناء المدن وعدم وجود تنويع مدروس يتوجه نحو مختلف الفئات الاجتماعية التي تتكون منها الجماهير.

4. نقص البرامج العلمية التعليمية وضعف الروح العلمية التوجيهية في مجمل البرامج.

5. عدم توافر إنتاج محلي للمواد الإذاعية والتلفزيونية المخصصة (كرتون، أفلام قصيرة... الخ).

6. عدم وجود مختصين في إعداد برامج الأطفال ومقدمين ثابتين لهذه البرامج، وتركها للمبادرات الفردية لمعد البرنامج ولاجهاداته الشخصية.

7. عدم وجود توجيه تربوي محدد موزع على مختلف مراحل الطفولة وبما يتناسب مع أعمار الأطفال والاقتصار على القيم الأخلاقية والوطنية والقومية العامة وبما تقتضيه المناسبات.

إن هذه السلبيات من حيث الكم والنوع تضعف من دور برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون عندنا والنتيجة الخطيرة التي تترتب على هذا الواقع هي أن الأطفال بعامة يقبلون على مشاهدة البرنامج العام وسماعه، أي أنهم يتلقون من الإذاعة والتلفزيون المادة الموجهة إلى الراشدين وفي هذا ما فيه من الخطورة من الناحية التربوية. وأعتقد أن جوهر المشكلة كلها يتلخص في هذه النقطة بالذات. وليست أجهزة الإعلام وحدها مسؤولة عن هذه المشكلة وإنما تشاركها فيها أيضا الأسرة. إن البرنامج العام يطرح على الأطفال قضايا ومشكلات وأنواعا من الترفيه والتوجيه لا تمت بصلة إلى عالم الأطفال وتكوينهم البيولوجي والسيكولوجي وما تقتضيه الضرورات التربوية والتعليمية. إنها تحدث تشويها حقيقيا في نفسيات الأطفال وثقافتهم إلى عالم ليسوا مهئين للانتقال إليه من جميع النواحي. وتبرز هذه السلبية بصورة خاصة في نطاق العلاقات بين الجنسين كما تطرح بخاصة في الأفلام السينمائية الرائجة عندنا وفي أشكال الترفيه المبثقل (الرقص الشعبي) وبعض المواد الأخرى التي لا يصح تربويا تقديمها إلا للراشدين وفي نطاق مراحل محددة من العمر. كما تبرز أيضا مسألة العنف الإجرامي التي تطرحها الأفلام السينمائية المستوردة بل أن بعض أنواع الرياضة (المصارعة) تطرح على الأطفال المشكلة نفسها أي مسألة العنف وما تحدثه من تأثير في نفسية الطفل ولا سيما عندما لا يكون لهذا العنف مضمون إيجابي كالدفاع عن النفس مثلا أو الدفاع عن الوطن وغير ذلك، وعندها يتحول هذا العنف إلى عنف مجرد.

ونستطيع أن نخلص من هذه الملاحظات إلى النقاط الآتية :

1. يجب أن تكون للأطفال برامجهم الخاصة الإذاعية والتلفزيونية التي تغطي جميع احتياجاتهم البيولوجية والسيكولوجية.
2. أن تخطط برامج الأطفال تربويا وتعليميا وتوجيهيا وترفيهيا على أساس هذه الاحتياجات البيولوجية والسيكولوجية.

3. أن توزع هذه البرامج على أساس تغطية مختلف مراحل الطفولة وفترات الأعمار ضمن المرحلة الواحدة.
4. أن توجه الأسرة والمدرسة للتعاون مع مخططي برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون لمراقبة تتبع الأطفال لهذه البرامج.
5. القيام بدراسات ميدانية مستمرة لمعرفة تأثير هذه البرامج بعامة وبعض موادها بصورة خاصة، على الأطفال من مختلف الأعمار وكذلك لمعرفة رأي الأسرة فيها وتعديلها على أساس هذه الدراسات.

خامسا : المضامين الرئيسية لبرامج الأطفال

يمكن أن تحدد المضامين الرئيسية لبرامج الأطفال كما تفرضها مراحل أعمارهم وحاجاتهم البيولوجية والسيكولوجية في النقاط الأربع التالية :

التربية - التعليم - التوجيه - الترفيه. وقبل الدخول في محاولة تفصيل هذه النقاط يجدر بنا أن نؤكد على حقيقة أساسية ألا وهي أن هذه النقاط تشكل في مجموعها كلا واحدا لا يمكن تجزئته، وأن الغاية من هذا التقسيم كما نورده هنا مجرد التصنيف المدرسي الذي يتبع التوسع في استعراض مضامين برامج الأطفال. فلا يصح أن يكون الترفيه غير ذي مضمون كما لا يجوز فصل المضامين التربوية والتعليمية والتوجيهية عن إطارها الترفيهي المسلي الذي يشد نفوس الأطفال وعقولهم. وبمقدار ما يتحقق اندماج هذه المضامين وتلاحمها تستطيع برامج الأطفال أن تكون ناجحة وذات تأثير مجد ومفيد.

1. التربية

تقوم التربية على أساس ضبط النمو البيولوجي للطفل وتوجيه هذا النمو في مجراه الطبيعي المتوازن مع تقدم نمو الطفل في إطار البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها. ويحدد هذا النمو في مرحلة الطفولة الوسطى أو مرحلة التعليم الابتدائي أي ما بين السادسة والثانية عشرة في النقاط التالية :

- أ. اكتساب معرفة أشمل وفهم أعمق للعالم المادي والاجتماعي.
- ب. تكوين اتجاهات سليمة نحو فكرته عن ذاته، مثل قبول الذات والرضى عنها، والشعور بأن له قيمة وأنه جدير باحترام الآخرين.
- ج. أن يتعلم دورا اجتماعيا ذكريا أو أنثويا مناسباً.
- د. ترقى الضمير والأخلاق وتكوين مقياس مدرج من القيم.
- هـ. تعلم القراءة والكتابة والحساب، وتعلم مهارات عقلية أخرى مثل الملاحظة الموضوعية المنظمة، والتصنيف والمقارنة، والتصميم، واستخدام معلوماته في حل المشكلات... الخ.
- و. تعلم مهارات جسمية معينة.
- ز. تنمية اتجاهات سوية نحو المجموعات الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية الأخرى مثل القيام بدوره في خدمات الأسرة، والتعاون مع زملاء المدرسة، والمحافظة على قواعد المرور ونظافة الشوارع، الخ...
- ح. تعلم الحصول على مكانة بين رفقاء السن الواحد والمحافظة عليها.
- ط. تعلم الأخذ والعطاء ومشاركة المسؤولية.
- ي. اطراد التقدم في إنجاز الاستقلال الشخصي.
- هذه هي أبعاد النمو والترقي التي يجب على الطفل أن يحققها فيما بين السنة السادسة والثانية عشرة من عمره، مستعينا بعنصره الوراثة البيولوجية من ناحية، وبيئته الاجتماعية الثقافية من ناحية أخرى، وبفكرته عن ذاته من ناحية ثالثة.⁽¹⁾
- إن هذه النقاط تشكل المعطيات الأساسية العامة لنمو الأطفال في فترة ما بين السادسة والثانية عشرة. وهي معطيات علمية عامة مجردة يجب أن تشكل الخلفية

(1) تطبيق علم النفس في برامج الراديو والتلفزيون الموجهة للأطفال. د. سميرة أحمد فهمي،

الأساسية للتخطيط التربوي لبرامج الأطفال ولا يمكن لهذه المعطيات أن تكون ذات فائدة إلا إذا أعطيت من خلال واقع اجتماعي حي ومشخص أي أن تؤخذ من خلال بيئة محددة في مجتمع معين، وتأخذ طابعها المحلي وهذا الطابع بالنسبة إلينا هو المجتمع العربي السوري بعامة، والبيئات المحلية المتعددة القائمة فيه وكذلك الفئات الاجتماعية المختلفة.

2. التعليم

سبق أن أشرنا في صفحات سابقة إلى أهداف التعليم الابتدائي في القطر العربي السوري. وهذه الأهداف تتلاءم مع الأهداف التربوية العامة التي ذكرناها آنفاً وأود أن أشير هنا إلى هدف أساسي من أهداف التعليم هو تعليم اللغة التي أعتقد أن برامج الإذاعة والتلفزيون يجب أن توليها اهتماماً خاصاً، فاللغة رموز صوتية لها دلالة ومعنى ويتعلمها الطفل بآلية ذاتية بدءاً لأنها وسيلة للاتصال المباشر بالعالم الخارجي أي بالمجتمع الذي يحيط به وهي التي تتيح له التفاعل الواقعي مع أحداث هذا العالم.

فالطفل يحفظ الكلمات ولكن هذه الكلمات لا تكتسب معانيها ودلالاتها بالنسبة إليه إلا من خلال تجاربه الشخصية.

ويقسم علماء التربية عادة مراحل تعلم اللغة إلى أربعة أقسام هي :
مرحلة ما قبل اللغة ومرحلة المغاغة ومرحلة التقليد ومرحلة الكلام الحقيقي.
ويمكن القول أن المرحلة الرابعة وهي مرحلة الكلام الحقيقي تبدأ بالتكامل بدءاً من السنة الثالثة. وقد تبين من الدراسات أن المحصول اللغوي في سن السنتين والنصف لـ 14 طفلاً هو 446 كلمة وفي سن ست سنوات كان متوسط المحصول اللغوي لـ 9 أطفال فقط هو 2562 كلمة⁽¹⁾ وهذا يعني أن إنماء اللغة عند الطفل يبدأ من

(1) اللغة والفكر عند الطفل، سيد غنيم، مجلة علم الفكر، نيسان، 1971.

الثالثة حتى السادسة ومن السادسة فما فوق يمكن أن يدخل في اهتمامات برامج الإذاعة والتلفزيون كما يدخل فيه تعلم القراءة والكتابة والحساب وغيرها بطبيعة الحال. ولما كان حصول الطفل على المعارف رهنا بازدياد رصيده اللغوي لذلك فإن إنماء هذا الرصيد ضرورة ملحة وبمقدار استخدام برامج الإذاعة والتلفزيون.

ولما كنا في المجتمعات العربية نعاني من مشكلة الفروق بين الفصحى والعاميات المختلفة لذلك فإن برامج الأطفال مهيأة أكثر من غيرها لتطوير العامية وتقريبها من الفصحى عند الأطفال وخلق الاستعداد لديهم لتقبل الفصحى بالممارسة منذ مراحل مبكرة من العمر.

إن البرامج التعليمية في الإذاعة والتلفزيون يجب أن تبدأ مبكرة ومع مرحلة الطفولة الأولى وتندرج حتى المرحلة الوسطى وتتصاعد حتى مرحلة المراهقة أي مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي.

3. التوجيه

يقصد بالتوجيه ليس غرس القيم الأخلاقية التقليدية وحسب وإنما أيضا غرس سلم القيم المتطور والمرتبط بالأهداف الأساسية لتطور أي مجتمع وتقدمه من خلال معطيات عصرنا الراهن. فإذا كان الصدق والأمانة والوفاء والشجاعة والتضحية هي سلم القيم الإنسانية التقليدية إلا أن سلما جديدا للقيم يفرض نفسه من خلال الأهداف الأساسية لأي مجتمع.

فالإيمان بالانتماء العربي مثلا قيمة أساسية في سلم قيم المجتمع العربي الراهن، وكذلك أيضا أن يقال عن النضال ضد الاستعمار والأمبريالية ومحاربة الفقر والتخلف والطموح إلى بناء مجتمع اشتراكي يحقق الوفرة والكفاية وعدالة التوزيع ويقضي على التفاوت الطبقي وجميع أشكال العلاقات الاجتماعية المتخلفة كالعشائرية والإقليمية وغيرها. إن غرس هذا السلم التقدمي من القيم يجعل الأطفال مؤهلين لأن يكونوا مواطنين معاصرين قادرين على تفهم قضايا مجتمعهم

وعصرهم، ويفرز من بينهم أفراد متميزين قادرين على قيادة حركة تطور المجتمع العربي إلى الأمام، وبرامج الإذاعة والتلفزيون الموجهة للأطفال يمكن أن تلعب دوراً رئيسياً في هذا المجال ولا سيما في مواجهة القيم المتخلفة التي يمكن أن تنتقل إلى الأطفال من خلال الأسرة والبيئة المحلية المحيطة بهم.

ويدخل في إطار التوجيه تنمية العقلية العلمية عند الأطفال ومحاربة الجهل والخرافة وجميع أشكال المعلومات والمعارف السائدة في البيئة المتخلفة والتي تتنافى مع العقل العلمي.

إن من أخطر ما يواجه الأطفال في هذه المرحلة من العمر أن يعطوا تفسيرات لحياتهم وما يحيط بهم منافية للحقائق العلمية المعروفة. إن التركيز على التفكير العلمي يجب أن يكون المنطلق الأساسي لجميع برامج الأطفال سواء منها التربوية والتعليمية أو التوجيهية والترفيهية ولا سيما أن الأطفال في مرحلة الطفولة الوسطى كثيراً التساؤل ويودون معرفة كل ما يرونه وكل ما يقع تحت أيديهم وما يحيط بهم.

4. التسلية والترفيه

يقصد بهذا المضمون الرئيسي من مضامين برامج الأطفال أن تكون خفيفة الظل تضحك الأطفال وتسليهم وتدخل الفرحة إلى قلوبهم وليس ثمة شيء كالتسلية الرثيئة يمكن أن يشد الأطفال إلى برامجهم ويحببها إليهم. فالتسلية عنصر التشويق وإذا لم يكن ثمة جديد في هذا إلا أن ما نود أن نؤكد هنا هو ضرورة ارتباط التسلية كعنصر تشويق بالمضامين التربوية والتعليمية والتوجيهية وألا تكون تسلية مجردة من أي مضمون وهذا يعني ضرورة الحذر من ابتذال التسلية وكل ما يمكن أن يكون فيها من إهجات ومؤثرات تناقض الأهداف التربوية والتعليمية والتوجيهية. إذ كثيراً ما نشاهد أنماطاً مبتذلة من الترفيه والإضحاك تقوم على اللامعقول والمبالغات وكل ما يجافي الواقع.

وتدخل العناصر الفنية كجزء أساسي من التسلية والترفيه كالموسيقى والتمثيلات والغناء أي كل ما يتمتع ويفرح.

وإذا أردنا أن ندخل في الموصفات الفنية لبرامج الأطفال لا بد أولاً من أن ندرس توزيع البرامج وفق جدول الأعمار.

ففي تعاملنا مع أطفال ما بين 3-6 سنوات نضع في اعتبارنا الحقائق التالية :

1. إن الطفل في هذا السن يبدأ في الارتباط بجهاز التلفزيون ويشاهده بانتظام بعد أن كانت رؤيته له عرضية في سن الثانية.

2. طفل هذا السن هو أكثر أفراد الأسرة تواجداً بالمتزل وبالتالي فغن جهاز التلفزيون في المتزل يعتبر أحد العناصر الرئيسية لتسليته والترفيه عنه.

3. إن الطفل في هذا السن يقضي نصف ساعات اليقظة في مشاهدة التلفزيون لذلك يجب تقديم العديد من البرامج المتنوعة.

4. جهاز التلفزيون بالنسبة للطفل عالم سحري ينقل له كل شيء حتى التسلية الشيقة دون مجهود كبير. لذلك فهو سريع التأثر بكل ما يراه ويسمعه، واستجابته له أكيدة ولنفس السبيين تقدم أنماط السلوك السوية التي يمكن أن يتخذها مثلاً يحتذى به فيما بعد.

5. إن التلفزيون بالنسبة للطفل هو النافذة التي يطل منها على عالم الخيال ومن ثم يجب أن تتضمن البرامج أشكالاً خيالية.. لكن ليس معنى ذلك أن نفرط في تقديم الشكل الخيالي حتى لا نعزل الطفل عن المجتمع من حوله.

6. بالرغم من أهمية الترفيه والتسلية فإنه يجب الحرص على ألا تتوقف البرامج عند هذا الحد المجرد بل تتعداه إلى مضامين أكثر أهمية.

7. إن مجال الطفل ضعيف وحب الاستطلاع لديه قوي وبلا حدود..

فالفرصة مهيئة للتلفزيون لكي يساهم في إعطاء الطفل أكبر قسط ممكن من المعرفة والمهارة اللغوية دون منافسة من الوسائل الأخرى.

8. لا بد أن تشمل البرامج التركيز على القيم والعادات والتقاليد التي يتميز بها مجتمعنا كاحترام الآباء والأمهات والصدق والنظام وحب العمل. إن هذه الخبرات التي ستثبت في ذهن الطفل بعد كبره، وستصبح الأساس الرئيس في تكوين شخصيته .

9. تساعد البرامج الطفل على التعرف على مظاهر الحياة من حوله..

10. ضمانا للتركيز ولتقديم أكبر قدر ممكن من الاستفادة ينبغي لكل برنامج أن يعالج موضوعا واحدا حتى لا يتشتت ذهن الصغير بين أكثر من موضوع ومن المحتمل أن تصبح استفادته منه محدودة.

11. تتضمن برامج هذه السن أنواعا من المعرفة حيث أن حصيلة الطفل منها هي التي ستساعده على فهم ما يستقبله من معارف عن طريق الوسائل الأخرى مع تقدم السن به.

12. تساعد البرامج على تنمية ارتباط الطفل بالمجتمع من حوله وفي هذه السن تكون الأسرة هي مجتمعه، ثم تتسع الدائرة لتشمل الوطن مع تقدم السن به.

13. يجب ألا تتوقف البرامج عند حد النظرة المثالية فيرى الطفل الجانب الخير من الحياة فقط بل تتعداه إلى تبيان أوجه الشر والصراع الدائم بينهما والذي ينتهي دائما بانتصار الخير.

لقد واجهت هذه الأهداف والأفكار إشكالات كبيرة منها:

1 - الإمكانيات الفنية المحدودة.

2 - قلة الاختصاصيين.

3 - عدم تعاون التربويين والإعلاميين بحكم اختلاف في التكوين وطبيعة

العمل.

4 - المنافسة القوية من البرامج الغربية، وجاذبيتها، ولا سيما مع انتشار قوة الإرسال التلفزيوني وإمكانية التقاطه قبل البث عبر الأقمار الصناعية. وأمام هذه الإشكاليات عقدت ندوات وورشات عمل على الصعيد القطري والعربي العام وقدمت حلول ومقترحات مختلفة ساعدت في غالبيتها على سدّ بعض الفجوات أو النواقص.

وقد تمت الاستفادة من تجربة تعاون بين الإعلاميين والتربويين في مجال البرامج التعليمية وتدريب عدد من المعلمين أو المدرسين على التنفيذ والإخراج والإعداد التلفزيوني. فتم إحداث أقسام متخصصة أو دوائر لبرامج الأطفال مستفيدة من مواهب ممتازة لدى التربويين تم اكتشافها خلال دورات التدريب وتوظيفها في هذا المجال.

كما تم إقامة دورات تأهيلية للكتابة للأطفال في إطار معهد الإعداد الإعلامي والمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني الذي أنشئ في إطار اتحاد إذاعات الدول العربية في السبعينات في دمشق.

كما تم إعطاء اهتمام خاص ببرنامج نادي الأطفال الذي شكل حلقة تواصل حقيقي بين التلفزيون السوري وبين الأطفال والذي كانت تعدّه وتقدمه المذيعه هيام طباع وفيما بعد الأستاذ الفنان نادر قباني، بدوافع ذاتية ومؤهلات ومواهب فنية مميزة.

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك الاهتمام بدبلجة بعض الأفلام والبرامج الأجنبية إلى اللغة العربية سواء من الفرنسية أو الإنكليزية أو الروسية والتشيكية والبولونية والتي وجدت مجاًلاً رحباً لها في خارطة برامج الأطفال نظراً لتوجهاتها التربوية الأكثر انضباطاً من البرامج الغربية. ولقد حققت هذه البرامج هوىً في نفوس الصغار للأسباب التالية:

1 - في غالبية هذه البرامج قصص من الأدب العالمي وبالتالي فإنها تحفز الأطفال على المطالعة وتدفعهم إلى البحث عن الكتاب وقراءته. ولقد أثبتت الإحصائيات العالمية أن الإقبال على شراء الكتب يزداد عقب مشاهدة الرواية أو القصة مسرحياً أو تلفزيونياً أو إذاعياً.

2 - ساعدت هذه المسلسلات على ترسيخ اللغة الفصحى لدى الأطفال إذ إنها أدخلت اللغة العربية الفصحى خارج إطار المدرسة أو الواجب المدرسي. فلقد دارت ضمن حكاية حلوة وعلى لسان أبطال محبوبين مرتبطة بالمغامرة والخيال واكتشاف العالم ولهذا دخلت عقولهم وقلوبهم بأن معاً وأصبحوا يرددونها بحمالية وسهولة ومنذ سن مبكرة. إضافة إلى المسلسلات التي تدور في عالم المغامرة والتشويق والمسلسلات العلمية أو ذات الطابع التعليمي والتي تمت دبلجتها أيضاً إلى العربية أو الاستفادة من أجزاء كبيرة منها ضمن برامج تم إعدادها محلياً ولها تواصل مع الأطفال.

وفي هذا المجال أيضاً فقد تم التعاون مع وزارة التعليم العالي لإيفاد عدد من المبعوثين إلى الدول الأجنبية للتخصص في الرسوم المتحركة وإخراج برامج الأطفال. كما تم التعاون مع بعض السينمائيين لإعداد بعض الأفلام السينمائية الموجهة للأطفال أيضاً.

وفي مجال الدبلجة والتعاون العربي نذكر مسلسل "افتح يا سمسم" الذي أخذ فكرته من البرنامج الذي أعده للأطفال تلفزيون نيويورك وقد شكّلت لهذا البرنامج مجموعة عمل كبيرة ضمت نخبة من التربويين والفنانين المهتمين بثقافة الأطفال فاستطاع البرنامج أن يحقق نجاحاً كبيراً أثبت أن نجاح أي برنامج أو مسلسل يحتاج إلى تعاون بين التربويين والإعلاميين والفنانين كما يحتاج إلى تعاون عربي سواء في مجال التمويل والإنتاج أو الإعداد والإخراج والتمثيل...

إن استخلاص النتيجة تؤكد على ما يلي:

- 1 - إن الأعمال المحلية تستقطب أكبر اهتمام من المشاهدة.
 - 2 - إن الاستفادة من البرامج والأفلام الأجنبية العلمية أو الدرامية ضمن برامج محلية تعد خصيصاً هي أكثر إفادة شريطة أن يكون الإعداد دقيقاً ومنسجماً مع مواده المختلفة.
 - 3 - إن نوادي الأطفال وتواصلها مع المدارس ورياض الأطفال والجمعيات ذات الاختصاص تستطيع أن تحقق نجاحات وتأثيراً كبيراً.
 - 4 - إن دبلجة المسلسلات والأفلام وبرامج الأطفال العالمية إلى اللغة العربية هو أمر أساسي مستذكرين في هذا المجال أن غالبية الدول التي تعترف بثقافتها ولغتها الوطنية وحرصها على هويتها تعتمد إلى عدم إذاعة أي مادة موجهة للأطفال إلا باللغة الوطنية (تركيا - ألمانيا - فرنسا... إلخ).
 - 5 - إن إمكانات الدول العربية مجتمعةً وهي ذات لغة وثقافة وهوية واحدة تستطيع أن تنتج برامج ومسلسلات وأفلام كرتون سواء معدة أو مدبلجة أو منتجة إنتاجاً عربياً خالصاً في إطار المنظمات العربية ذات العلاقة أو بالتعاون معها وإشرافها وهو ما يجب التأكيد عليه على ضوء نجاح تجربة برنامج افصح يا سمسم.
- ناحية أخرى لا بد من التأكيد عليها وهي:
- ثقافة الأطفال ولغتهم: ولعل وسائل المرئي والمسموع والمكتوب هي إحدى أهم مجالات صناعة ثقافة الأطفال، ومدهم بالثروة اللفظية واللغوية.
- والصناعة الثقافية لا تسمى إعلاماً ثقافياً ما لم تمتلك تحديداً واضحاً لصورة الإنسان المستقبلية ومجتمعها.
- والإعلام الثقافي هو عملية تربوية بالمفهوم الواسع للتربية.
- إن الثقافة لا تصبح جزءاً من سلوك الطفل إذا لم تتمكن من إقناعه والتأثير فيه وبحكم الحساسية الشديدة للطفل فإنه سريع النفور أو الإهمال مما لا يجذبه أو لا يمتلك عناصر التأثير.

ولا تستطيع البرامج الثقافية توفير التأثير والإقناع إذا لم تكن متضمنة عناصر الإقناع والتشويق الأمر الذي يتطلب من البرنامج أن يكون مخلصاً لطبيعته وهذا هو الفارق الأساسي بين ثقافة المدرسة وثقافة الإعلام. بمعنى أن ثقافة الإعلام تتطلب واسطة فنية لأنها ثقافة تنقل المعارف والقيم بشكل ضمني غير مباشر، بواسطة الصوغ الفني للمضمون الثقافي، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الطبيعة الفنية للثقافة الإعلامية باختلاف جنسها الأدبي والعلمي والمعرفي العام.

فهي صورة مجنحة ونغم حلو ولفظ رشيق وصورة جميلة وألوان جذابة. وهي في القصة تعبير رقيق وصراع واضح بين الشخصيات وحوار وظيفي معبر.

وهي في المعلومة تعبير دقيق مبسط واضح عن الفكرة مع عرض منطقي للمعلومات.

كل ذلك يؤكد ضرورة التوازن بين الوظيفة والطبيعة مع معرفة دقيقة لحاجات ورغبات وميول الطفل المتلقي وفق الطبيعة العمرية الموجهة مع مراعاة العالم الروحي للطفل.

إن مهام البرامج الثقافية كبيرة كبر العالم الواسع المحيط بالطفل فهي تنمي قدرته على التفكير والشعور بحب الناس والطبيعة والصداقة والاطلاع والعرفان بالجميل والتمييز بين الخير والشر، وبين الكذب والحقيقة، وبين الشجاعة والجبن. وهي تربي عنده الشعور بالجمال والحافز على العمل وبذل الجهد في سبيل تحقيق المثل العليا، وما إلى ذلك.

إن عقد مثل هذا الملتقى بعناونه وأهدافه في إطار جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية يفتح مجالاً واسعاً للرواد من الأساتذة والمثقفين الاهتمام بهذه الشريحة من أبناء الأمة وتحديد عناصر العمل الإعلامي الموجه للأطفال لضمان تأسيس ثقافة

وقيم وسلوك ومعرفة واضحة وفق قيم المجتمع العربي الإسلامي ومتطلبات العصر،
بدل تركه نخباً لوسائل الإعلام الأجنبية بأغراضها وأهدافها المختلفة.
إن هذه المهمة الكبيرة هي مهمة نبيلة لا بد من تحملها بعواملها المختلفة
الثقافية والتربوية والفنية والإبداعية وكذلك الاقتصادية.
ما أرجوه أن يكون هذا الملتقى في رحاب هذه الجامعة العتيقة والمدينة الآثرة
بتاريخها وشعبها وعراقتها بداية لآفاق مستقبلية واعدة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق الشام في 28/رمضان/1424هـ

2003-11-23م